طلب قبل انعقاد ندوته عدم فتح ملف انفصاله عن زوجته بوسي ودافع عن سينما الشباب

نور الشريف: تسطيح الافلام ظاهرة امريكية انتقلت الى مصر

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من عمر صادق:

طلب النجم نور الشريف من القائمين على ندوة ـ نجم وندوة ـ التي عقدت بقصر السينما عدم توجيه أي اسئلة عن اسباب انفصاله عن زوجته السابقة بوسي او فتح هذا الملف بشكل وآخر وشدد على هذا المطلب قبل بداية الندوة التي تناولت الحديث عن رحلته الفنية ومشواره منذ تخرجه في معهد السينما اوائل السبعينيات ورأيه في سينما الشباب والانتاج الحالي ورأيه في دمج وزارة الاعلام مع وزارة الثقافة ليصبحا وزارة واحدة والعديد من القضايا الفنية الاخرى.

بعد انتهاء الندوة التي استغرقت الساعة والنصف سألته «القدس العربي» عن اسباب اختفاء المنتجين الجادين والمتحمسين لصناعة سينما جيدة، ورأيه في ظهور جيل جديد غير متحمس يقول:

■ للأسف ظهر جيل جديد من المنتجين الذين ينظرون الى السينما على انها البقرة الحلوب التي تدر عليهم الاموال والمكاسب وذلك بعد نجاح فيلم «اسماعيلية رايح جاي» بطولة محمد هنيدي ومحمد فؤاد منذ 9 سنوات حيث انفتحت شهية معظم المنتجين لانتاج افلام كوميديا على غرار هذا الفيلم، والمنتجون الحاليون لا يهمهم سوى الارباح فقط دون الاخذ بعين الاعتبار للاهداف الاخرى.

■ هل معنى ذلك انك ضد الاستثمار في السينما تحديدا؟

■ أنا لست ضد الاستثمار خاصة في السينما ولكن على المنتج ان يذهب اولا الى غرفة صناعة السينما ويطلب منتجا فنيا ليدير له الانتاج ـ كما ان المنتج اذا لم يحقق له النجم الايراد المطلوب يقوم بتخفيض اجره للنصف على الفور.

■ قلت ان تسطيح الافلام ظاهرة عالمية سبقتنا اليها دول عظمى في صناعة السينما، تقصد من؟

■ بالفعل هي ظاهرة بدأت في السينما الامريكية وانتقلت لنا على مدار الـ20 عاما الاخيرة فهي اما افلام كوميديا سخيفة او محاولات لشغل عقول الناس عن التفكير والابداع كما ان الاعلانات عن السلع واغاني الفيديو كليب المنتشرة في قنواتنا الفضائية جعلت في عالمنا العربي كل شيء مباحا الا الثقافة والابداع ولذلك أي فيلم يدعو الى استخدام العقل يفشل والقائمة مليئة بالعديد من البراهين والأدلة في هذا الاتجاه.

■ لماذا تطالب بضم وزارة الثقافة الفقيرة من وجهة نظرك الى وزارة الاعلام التي تمتلك ميزانية مفتوحة وما السبب؟

■ بالفعل الحكومة تتعامل مع وزارة الاعلام بنوع من الدلال حيث تحصل هذه الوزارة على ميزانية مفتوحة في أي وقت والحجم الهائل من المسلسلات التي تنتجها في نفس الوقت لا يوجد اهتمام بوزارة الثقافة وبالتالي السينما ومن هنا اطالب بضم الوزارتين في وزارة واحدة حتى تستفيد السينما من الميزانية المفتوحة لدعم انتاجها واستمرارها على الساحة بشكل اكثر احتراما.

■ في بداية مشوارك مع السينما كنت تقدم 11 فيلما في العام ما انعكاس هذه المرحلة على مشوارك بعدها؟

■ انعكاس سلبي حيث ابتعد عني المنتجون فقد كنت اوقع اكثر من عقد سينمائي لأداء البطولة وأقوم بتصوير مشهد بالقاهرة وبعدها بيومين اسافر الى بيروت لتصوير فيلم اخر وأتركه بعد اسبوع وأطير الى دمشق لتصوير فيلم ثالث وبالتالي لم اركز في نهاية الامر الى لجوء عدد كبير من المنتجين الى رفع قضايا عديدة ضدي بالمحاكم يطالبون اعادة ـ العربون ـ وقد عانيت بعدها لسنوات طويلة من هذا التهور.

■ كيف صعد نجم الفنان نور الشريف في السينما في ظل نجوم عظام مثال شكري سرحان وحسن يوسف ورشدي اباظة؟

■ الحقيقة انا وجيلي كنا نطالب بأجر اقل مما يتقاضاه هؤلاء النجوم، والمنتج يريد ايضا التعاون مع مواهب جديدة تنبىء بالنجومية خاصة انه يصاب بالدوار من الاجور المرتفعة التي يدفعها للنجوم الكبيرة ونجوميتنا في السينما بدأت في الاعلان عن نفسها وبالتالي اصبحنا اسماء كبيرة فيها.

■ يتردد ان نور الشريف يتخلى عن الشباب بخبراته في مجال المسرح، فما الحقيقة؟

■ هذا الكلام غير صحيح والدليل انني كنت اقدم خبراتي وتجاربي من خلال ورشة مسرحية بمسرح الهناجر وتشرف عليها د. هدى وصفي وظللت اعمل مع الشباب في هذه الورشة لشهور طويلة حتى انقطع فجأة الدعم المادي وهنا من الصعب عليَ أو على مجموعة الشباب المشاركين بالورشة الاستمرار وبالتالي انسحبت.

■ هل تتناسب الاجور المبالغ فيها التي يتقاضاه بعض النجوم مع ما يقدمون من فن؟

■ هذه مسألة عرض وطلب يتحكم فيها السوق الانتاجي وطالما ان الافلام تنجح على مستوى الايراد فلماذا لا يبالغ بعض النجوم في زيادة اجورهم؟

■ سمعنا كلاما كثيرا عن اكتئاب سندريلا الشاشة سعاد حسني في اواخر حياتها، بصفتك واحدا من المقربين لها، ما اسباب هذا الاكتئاب؟

■ سبب اكتئابها يعود الى فشل آخر فيلمين لها، حيث قدمت سعاد فيلم ـ الراعي والنساء ـ بطولتها مع محمود حميدة والثاني فيلم ـ الدرجة الثالثة ـ ولم يحقق أي نجاح على المستوى الجماهيري او الايرادات رغم ادائها الرائع فيهما بعدها دخلت مرحلة اكتئاب ادت الى سفرها للعلاج بالخارج.

نور الشريف

بترويجها للشركات العالمية وتسويقها لمنتجاتها: الفضائيات العربية تقتل الاقتصاد

جنات بن عبد الله*

■ تتكرر المشاهد يوميا على شاشات فضائياتنا العربية للترويج لمنتوجات الشركات العالمية والتعريف بها لدى المستهلك العربي باستعمال احدث التقنيات التي ابتكرها الغرب وسوقها في اسواقنا العربية لخدمته. التعاطي مع هذه الاعلانات اصبح عاديا ليشكل احدى الفقرات الاساسية في برامج الفضائيات العربية لتعتمد كمؤشر على اهمية نسبة المشاهدة. العقلية التي تتعامل بها فضائياتنا العربية مع الاعلانات تستند الى الظروف الجديدة التي افرزتها العولمة الاقتصادية وسياسة الانفتاح الاقتصادي التي انخرطت فيها بلداننا العربية بوعي.. وبغير وعي. فبعد سقوط جدار برلين والاتحاد السوفييتي اصبح العالم يدور في فضاء القطب الواحد الذي تمثله وبكل امتياز الليبرالية الاقتصادية وسياسة الانفتاح الاقتصادي التي انخرطت فيها بلداننا العربية بوعي.. وبغير وعي.

فبعد سقوط جدار برلين والاتحاد السوفييتي اصبح العالم يدور في فضاء القطب الواحد الذي تمثله وبكل امتياز الليبرالية الاقتصادية الامريكية التي مهدت لها النظريات الليبرالية الجديدة الطريق لتبرير استعمارها الجديد للبلدان العربية والبلدان النامية بصفة عامة تحت غطاء التحرير الاقتصادي وتحرير التجارة الدولية مستعينة في ذلك بالمؤسسات الدولية الثلاث:

البنك العالمي وصندوق النقد الدولي والمنظمة العالمية للتجارة التي تربعت على عرش اتفاقيات المبادلات التجارية بعد التوقيع على اتفاقية مراكش في سنة 1994.

النظريات الجديدة للنمو والتجارة الدولية اقنعت حكومات البلدان النامية ان الطريق الوحيد للخروج من التخلف والفقر وضمان الاندماج في الاقتصاد العالمي لا يمر الا عبر التحرير الاقتصادي وتحرير التجارة الخارجية وفتح الحدود امام الاستثمار الاجنبي ـ والمقصود به الاستثمار الغربي ـ والشركات العالمية، المؤهلين لنقل التكنولوجيا والمعرفة والعقلانية في توزيع الموارد، وبدونهما فان مآل هذه البلدان التهميش والضياع. وقد روجت الليبرالية الجديدة هذه الافكار في جامعاتنا اولا لتطبقها في مرحلة ثانية من خلال الوصفات السحرية التي اعدها البنك العالمي وصندوق النقد الدولي في الثمانينات في اطار برامج الاصلاح الهيكلي، وفي التسعينات من خلال اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة. وقد وجدت اغلب هذه البلدان في هذه الوصفات مخرجا من الانهيار من خلال وضع سياسات اعادة هيكلة للاقتصاد في اتجاه التقليص من دور الدولة في الحياة الاقتصادية واعطاء المسؤولية للقطاع الخاص وآليات السوق القادرة على ضمان حسن سير الدورة الاقتصادية باعتبار ان اي تدخل للدولة في اطار نظام اقتصاد السوق من شأنه ان يخل بالتوازنات والمقصود بتخلي الدولة عن دورها في الاقتصاد من زاوية المنطق الليبرالي هو تخليها خاصة عن التدخل في عديد القطاعات مثل التعليم والصحة وقطاعات الانتاج والنقل قصد التخفيف من اعبائها المالية بما يضمن الضغط على ميزانية الدولة. ولن ندخل في تفاصيل اثار هذا التوجه على تعميق الفقر والتخلف في بلداننا العربية، وبما نتعرض له في مناسبة أخرى.

الوجه الآخر لهذا التوجه وباعتبار ضعف الادخار في هذه البلدان يتعلق بتحرير الاستثمار فحسب ذات الوصفة فان المنقذ الوحيد من مأزق تمويل الاقتصاد هو الاستثمار الاجنبي المباشر الذي وضعت له كل الامتيازات والتشجيعات بل ان هذه البلدان دخلت في منافسة فيما بينها لاستقطاب هذا الاستثمار الذي يحمل معه المعرفة والتكنولوجيا ويشغل اليد العاملة والاقدر على حل مشكلة البطالة التي تعاني منها بلداننا. وينتصب هذا الاستثمار الاجنبي المباشر من خلال بعث مشاريع في مجالات تعتمد اساسا على اليد العاملة الرخيصة وليس على التكنولوجيا، وتنتعش هذه المشاريع بفضل القوانين الحامية للاستثمار الاجنبي المباشر. فهو يتمتع بالامتيازات التي يتمتع بها المستثمر المحلي بفضل مبدأ المعاملة الوطنية الذي تنص عليه الاتفاقيات الثنائية والاتفاقيات متعددة الاطراف، وبامتيازات تفاضلية تحت عنوان «اكرام الضيف». وتتوسع هذه المشاريع وتكبر وتحقق ارباحا ضخمة على حساب الشركات المحلية التي تجد نفسها غير قادرة على منافستها فتختفي من السوق او تقبل بدمجها في احدى هذه الشركات العالمية التي تصبح محتكرة للسوق المحلية ولها كل الاستحقاقات. لن نتعرض الى المآسي والصعوبات التي تعترض شركاتنا المحلية العربية في مواجهتها للشركات العالمية وفي اسواقنا المحلية ولكن نكتفي بالدعوة الى الرجوع الى فضائياتنا العربية لنعلم حجم هذه المآسي وهذه الصعوبات حيث لا يوجد اي منتوج عربي مئة بالمئة يتم الاشهار له عبر هذه الفضائيات فقد تم القضاء عليها لتحل محلها الشركات العالمية التي تبتز القوى العاملة والاموال العمومية من خلال اعفائها من الاداءات الجبائية وتمتعها بالدعم على غرار المستثمر المحلي.

ان توسع نشاط هذه الشركات العالمية في اسواقنا العربية يعني القضاء على نسيجنا الصناعي ـ ان وجد ـ ونسيجنا الخدماتي ـ وهو لا يزال قائم الذات ـ ونشاطنا الفلاحي ـ الذي يعد العمود الفقري لاغلب الاقتصاديات العربية ـ فهذه الشركات لا تجد الحظوة لدى الحكومات فقط بل تجدها ايضا لدى فضائياتنا العربية التي ولئن تنمي عائداتها وتؤمن اساسها المالي بفضل فقرات الاشهار، فانها تساهم في قتل المنتوج العربي الذي ليست له نفس الامكانيات المالية التي تتمتع بها الشركات العالمية. ان الاشهار لمنتوج عالمي عبر قنواتنا الفضائية هو دعوة للمستهلك العربي للتخلي عن المنتوج العربي وهو دعوة ايضا لانماء الشركات العالمية وتفليس الشركات العربية. وفي آخر المطاف هو دعوة لانماء الاقتصاديات الغربية وقتل الاقتصاديات العربية التي ستجد نفسها تحت رحمة الشركات العالمية التي لا تتراجع امام اي مكسب وطني من اجل تحقيق المزيد من الارباح. ان واقع الاقتصاديات العربية اليوم والواقع العربي بصفة عامة يحتم على فضائياتنا العربية ان لا تتعاطى مع فقرات الاشهار من زاوية احادية الجانب تعطي البعد التجاري والمالي فيه الاولوية المطلقة، بل ان الواجب الوطني يدعوها اليوم لكي تساهم في موقعها في الحفاظ على المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في اطار نظرة شمولية تأخذ بعين الاعتبار خصوصية العولمة واثارها على مصير «امتنا» هذه «الامة» التي اصبحت مهددة خاصة من ابنائها بوعي.. وبغير وعي.

*رئيس تحرير مساعدة وباحثة تونسية

اخبار فنية

مشاركة لفرقة «مسرح الشارع» للمرة الاولى من مناطق السلطة في مهرجان التمثيل الدولي الثاني

شفاعمرو ـ من اسامة مصري:

من السلطة الفلسطينية ولاول مرة، تشارك في مهرجان التمثيل الصامت الدولي الثاني ـ شفاعمرو 4ـ 7 ايار (مايو) 2006، فرقة «مسرح الشارع» الفلسطيني في العمل الغني «يلا نضحك».

في تقديمهم للعرض يقول فريق العمل انه «انطلاقا من قاعدة «الضحك للضحك»، ابتدأت فرقة «مسرح الشارع» الفلسطينية عرضها، وتطور العرض رغما عنها ليشمل مفاهيم تربوية مثل التعاون والنظافة والصداقة. لكن الهدف الأسمى في العرض هو «الترفيه من اجل الترفيه» من خلال المهرجين الذين يستخدمون أساليبهم ومهاراتهم الاستعراضية من اجل إسعاد الطفل».

تدور احداث العرض بين «زعتر ومشمش»، اثناء عملهما في تنظيف الشارع فيحاول مشمش المشاكس، تعطيل العمل من خلال سلة المهملات والمقالب والمفاجآت التي يحضرها الى صديقه زعتر، بينما يحاول زعتر، انهاء العمل دون ان يخسر صديقه مشمش، ومن خلال العرض يتشاجر فستق وبندق وبرتقالة محاولين استخدام الخردة في اللعب معا.. مدة العرض (54) دقيقة، يتكون العرض من فقرتين، مدة الفقرة الاولى (40) دقيقة ومدة الفقرة الثانية (14) دقيقة.

مسرح الشارع:فرقة مسرحية فلسطينية، تأسست من قبل مجموعة من فناني مسرح الشارع ومهرجين مقدسيين.. بدأت عملها في 2003 من خلال حفلات ترفيهية للأطفال وأمسيات مسرحية وترفيهية. والمشاركون في العمل هم:

اياس الجعبة:فنان مقدسي، ابتدأ العمل المسرحي سنة 2002، شارك في عدة ورشات لاعداد الممثل محليا ودوليا، من ابرز الاعمال التي شارك فيها: البحث عن حنظلة من اخراج مكرم خوري، والمسلسل التلفزيوني يانون من اخراج حيان يعقوب، وفيلم سفر التكوين من اخراج رياض دعيس.

من مؤسسي مسرح الشارع وهو اول مهرج طبي فلسطيني، وثاني مهرج طبي عربي مرخص من وزارة الصحة الاسرائيلية.

داوود طوطح:فنان مقدسي، ابتدأ العمل المسرحي سنة 2001، عمل في عدة اعمال للاطفال والكبار وشارك في عدة ورشات مسرحية من ابرزها: ورشة سيرك مع الفرقة النرويجية ستيلا بولاريس ومن ابرز اعمال الاطفال: ثلجية.

من مؤسسي مسرح الشارع وشارك في عروضه التي جابت ارجاء الوطن.

رمزي أبوعصب:بدأ بالعمل في المجال المسرحي من خلال عدة ورشات فنية تعتمد على أعداد الممثل في البلاد والخارج ومن ثم أنتقل للمشاركة في الأعمال المسرحية والتلفزيونية في مسارح الوطن المهنية.

من أبرز الأعمال التي شارك فيها: «نيال الأعمى» من أخراج كامل الباشا، فيلم «سفر التكوين» من أخراج رياض دعيس، مسلسل «الدار دار أبونا» مسلسل أذاعي، استعراض سيرك «عش الملائكة» مع الفرقة النرويجية ستيلا بولارس ومن أنتاج المسرح الوطني الفلسطيني.

من مؤسسي فرقة «مسرح الشارع»

عزت النتشة:فنان مقدسي شارك في عدة ورشات مسرحية محليا وعمل مع مسرح الشارع في اعماله منذ تأسيسه ومن ابرز الاعمال التي شارك فيها العرض الترفيهي يلا نلعب.

عمر الشريف يحتفل بعيد ميلاده اليوم على «شوتايم»

دبي ـ «القدس العربي» ـ من احمد جمال المجايدة:

يصادف اليوم الاثنين 10 نيسان (أبريل)، ذكرى ميلاد النجم العربي العالمي عمر الشريف.. وبهذه المناسبة تخصص شوتايم يوماً كاملاً لعرض باقة من أفلامه العربية على قناة الشاشة. عمر الشريف.. هذا الفنان العربي، الذي انطلق نحو العالمية وأصبح نجماً عالمياً يشار اليه بالبنان.. اسمه الحقيقي ميشيل شهلوب. ولد في الاسكندرية ونشأ في ظل أسرة ثرية من أصل لبناني. درس بمدرسه فيكتوريا وتخرج في كلية العلوم وهو يتقن اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية والأسبانية واليونانية، اضافة الى العربية.

قدمه المخرج يوسف شاهين أول مرة عام 1954 في دور البطولة أمام النجمة فاتن حمامة في فيلم (صراع في النيل)، ومن ثم بدأت رحلته الى عالم النجومية، ليصبح فتى الشاشة الأول في السينما المصرية. وكانت انطلاقته العالمية في فيلم «لورنس العرب» الذي كان بمثابة تجربة فنية هامة في مشواره السينمائي. ليخطو عمر الشريف أولى خطواته نحو الفن العالمي الحقيقي، فمثل دور البطولة في عدة أفلام، منها «جنكيزخان» أمام الممثلة الفرنسية فرانسواز دورليك، و«دكتور زيفاغو» الذي كان نقطة التحول الصاروخية ودور «تشي غيفارا»، و«سقوط الامبراطورية الرومانية» مع الايطالية صوفيا لورين و«الرولزرويس الصفراء» مع انغريد بيرغمان، و«مايرلينغ» مع كاترين دينوف. في عام 1983 عاد عمر الشريف الى الفن المصري.. الى القاهرة، ليؤدي العديد من الأفلام الناجحة التي لاقت استحسان النقاد والمشاهدين على حد سواء.

وهاهو عمر الشرِيف يزين قناة الشاشة يوم الاثنين 10 نيسان (أبريل) بهذه الكوكبة من أفلامه الرائعة:

اشاعة حب

في الساعة 00:09 بتوقيت السعودية يعرض فيلم اشاعة حب حيث نجد عبد القادر الرجل المسن لكنه مازال قادرا على مغازلة النساء، ويحاول أن يجعل من ابن أخيه المتزمت نسخة منه حتى يستطيع الفوز بابنته سميحة. وبعد أن ييأس منه يطلق اشاعة مفادها أنه على علاقة بممثلة مشهورة. بعد عدة مواقف تتضح الحقيقة للجميع ولسميحة التي ترى في ابن عمها مميزات تجعله جديرا بالارتباط بها.

سيدة القصر

وفي الساعة 00:11بتوقيت السعودية يعرض فيلم سيدة القصر حيث تمثل فاتن حمامة دور سوسن الفتاة اليتيمة متوسطة الحال. وتقابل عادل الشاب الثري الذي يحاول التودد اليها. عندما يفشل في الايقاع بها في شباكه يتزوجها مما يثير قلق رفاقه الذين يطمعون في ثروته.

صراع في النيل

وفي الساعة 30:12 بتوقيت السعودية يعرض فيلم صراع في النيل حيث تحاول عصابة من اللصوص سرقة مبلغ يملكه الشاب محسب لشراء مركب صيد. يبدأ الشاب رحلته على المركب القديم من الصعيد الى القاهرة. وبايعاز من اللصوص تتسلل الغازية نرجس للمركب وتوهم الشاب بحبها ويتزوجها بالفعل، وتنجح المرأة في سرقة النقود، ليكتشف حقيقتها في آخر المطاف.

لا أنام

لا أنام في الساعة 30:14 بتوقيت السعودية تعيش نادية مع أبيها الذي يكرس حياته لتربيتها. ويتزوج من صفيه التي تحاول التودد الى نادية. تلتقي نادية بمصطفى وتتردد على شقته في غفلة من أهلها، وبدوره يتعرف مصطفى على صفية فتعمل نادية على الايقاع بين صفية وأبيها. يفاجئ والدها زوجته مع عشيقها فتدعي نادية أنه جاء ليخطبها، في ليلة عقد القران تشتعل النار في ثوب زفافها، وفي المستشفى تعترف وتطلب الصفح.

في بيتنا رجل

في فيلم في بيتنا رجل في الساعة 30:17 بتوقيت السعودية يقوم ابراهيم مع زملائه الوطنيين باغتيال رئيس الوزراء فيقبض عليه لكنه يهرب من السجن، ويلجأ للاختباء عند زميله محيي. يلقى محيي ألوانا من العذاب للاعتراف بمكان ابراهيم الذي يترك المنزل حتى لا يورطه في المشاكل. يعد له زملاؤه خطة لمغادرة البلاد، في آخر لحظة يعدل عن السفر ويعاود نشاطه الفدائي مع زملائه ويستشهد.

وفي الساعة 00: 19 بتوقيت السعودية نقدم فيلم ضحك ولعب وجد وحب الذي تدور أحداثه في مصر وهي في حالة غليان والطلاب ثائرون على ما يحدث حولهم بعد نكسة عام 1967. يتعرف أدهم الذي يرفض سلوك والده ضابط المخابرات على فتاة ليل ويصر على الزواج منها رغم فارق السن حيث وجد فيها حنان أمه وليتحدى أبيه.

الأراجوز

في الساعة 00:21 بتوقيت السعودية يعرض فيلم الأراجوز الذي يجسد فيه عمر الشريف دور الأب الملتزم بمبادئه للبقاء في أرياف مصر بينما تستهوي مغريات المدينة ابنه للهجرة الى القاهرة. ويتزوج محمد (عمر الشريف) من انعام (ميرفت أمين) ويعيش من عمله كأراجوز. ويتطلع ابنه بهلول (هشام سليم) للثراء فيتزوج من آمال ابنة الثري الكسباني ويصبح بهلولا ثريا ويتنكر لوالده.

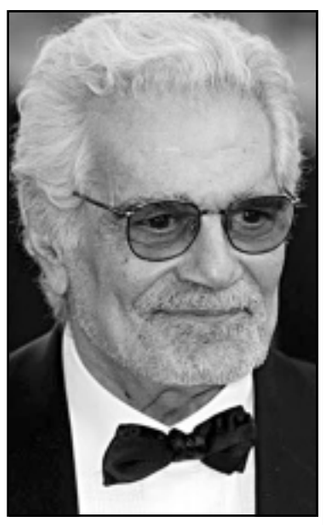

فضائيات

هل حسّنت إقالة يحيى العريضي من سمعة سورية؟

حكم البابا*

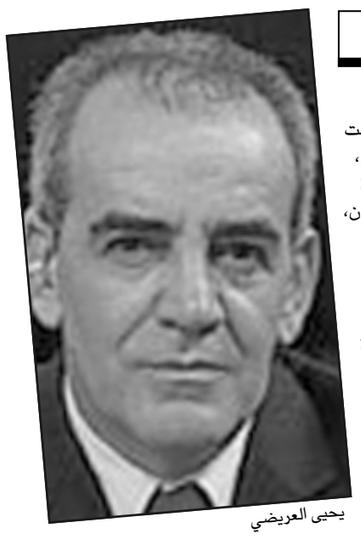

يحيى العريضي

■ لاأعرف كيف يمكن للدكتور يحيى العريضي أن يبرر لو أتيحت له فرصة الظهور على التلفزيون، وسئل عن سبب اقالته من إدارة المركز الاعلامي السوري في لندن، واحضاره موجوداً إلى سورية، وانهاء ندبه من وزارة الاعلام وإعادته إلى عمله في جامعة دمشق بالطريقة المهينة التي انتهت بها مهمته الدونكيشوتية في تحسين صورة سورية في الخارج، ولكني لاأشك في أنه سيجد الأعذار المقنعة من وجهة نظره لمواصلة دفاعه عن الاصلاح على الطريقة السورية، والاشادة بحكمة القرارالذي أنهى مهمته، ورجاحة عقل من أصدره، ولن ينسى بالطبع توجيه الشكر له!

لاأضرب في المندل ولاأفتح الفال حين أخمّن ردة فعل الدكتور العريضي على ماحدث معه، فالرجل بدأ حياته الاعلامية مديراً للقناة الثانية في التلفزيون السوري، ومامميّزه على شاشتها صوته الهامس الذي يحتاج لمشاهد مزود بجهاز لتقوية السمع أو لمشاهدة عاشقة لفهم مايوشوش به ضيفه، ولولا الترجمة العربية التي كانت تظهر على الشاشة ماكان يمكن فهم السؤال العبقري الذي يوجهه لكل ضيوفه، عن رأيهم في المواقف القومية والمبدئية والثابتة للسياسة السورية، وهذا السؤال ـ الذي لايحتمل في المكان الذي يوجد فيه الضيف إلاّ جواباً واحداً ـ يعتبر الماركة المسجلة للتلفزيون السوري بقنواته الثلاث، والفارق الوحيد بينها هو توصيف القناة الأولى باعتبارها القناة الاخبارية الرصينة لمواقف السياسة السورية بالقومية والمبدئية والثابتة، في حين توصف القناة الثانية بالثابتة والمبدئية والقومية لأنها توجه للمشاهد الانكليزي الذي يقرأ من اليسار لليمين، أما القناة الفضائية فتفضل بداعي الاختلاف والانفتاح كونها موجهة للمشاهد الخارجي توصيفها بالمبدئية والقومية والثابتة، وبفضل هذا السؤال يمكن لأي مشاهد العثورعلى القناة السورية، لأن طرحه على كل الضيوف يبدأ من مابعد تلاوة القرآن الكريم التي يفتتح بها البث، وحتى ماقبل ظهور النشيد السوري الذي يعلن ختام الارسال، وطوال فترة البث يسمع المشاهد هذا السؤال يطرح على المحلل السياسي وخبير الجولوجيا وبائع البطيخ والحلاق النسائي والدكتور محمد حبش، ليرددوا نفس الجواب وكأنهم تلاميذ مدرسة ابتدائية غشوا في امتحان من نفس الورقة!

وقد نقل الدكتور العريضي خبرته الطويلة مع هذا السؤال إلى لندن بعد تعيينه مديراً للمكتب الاعلامي السوري، ليحسّن صورة سورية اعلامياً في الخارج، باذلاً الوعود معتمداً استراتيجية القصة المعروفة التي تقول (إما أن يموت الملك أو الحمار أو أموت أنا)، فعندما يحشر في سؤال عن الاصلاح يتحدث عن الصبر باعتباره مفتاحاً للفرج، وعندما يحرج في مداخلة عن القمع يتهم مواجهه بنفسه القصير، ولولا مشاهدتي لصورته على الشاشة لظننت في كثير من المناسبات التي سمعته يتحدث فيها بأني أشاهد الداعية عمرو خالد في برنامج تلفزيوني ديني يبذل الوعود فيها للمؤمنين بأنهار العسل والحليب في الجنة، ووصل تماهي الدكتور العريضي بعمرو خالد إلى الحد الذي ظننت فيه بأنه سيظهر ذات يوم في برنامج تلفزيوني ليردد للسوريين قول الرسول محمد «اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، وكانت المفارقة الطريفة التي ترد على كل كلام الدكتور العريضي عن الاصلاح الموعود وهو يملأ شاشة فضائية عربية تأتي من الشريط الاخباري الذي يمر تحت صورته، وفيها خبر عن اعتقال أجهزة الأمن السورية للكاتب علي العبد الله، أو آخر عن منع اجتماع للجنة المؤقتة لاعلان دمشق، أو إحالة المحامي هيثم المالح الرئيس السابق لجمعية حقوق الانسان في سورية إلى المحكمة العسكرية، أو الحكم على رياض دردار الناشط في لجان المجتمع المدني في سورية من قبل محكمة أمن الدولة بالسجن خمس سنوات، أو منع الندوة الشهرية لمنتدى الأتاسي.

وكانت مهمة الدكتور العريضي أن يتحول إلى سيزيف جديد يحمل صخرة الاصلاح من جديد إلى أعلى الجبل بعد أن تدحرجها له إلى الأسفل الأجهزة الأمنية بخبراعتقال أوتضييق أمني جديد في سورية.

وكنت في كل مرة أسمع فيها الدكتور العريضي يرد على من يسأله عن أي اصلاح يتحدث وقد اعتقل فلان، أو حكم على علان أتذكر سؤالي له عندما عيّن مديراً للمركز الاعلامي السوري في لندن، عن هدف المركز ومهمته كمدير له، وأتذكر إجابته حول تحسين صورة سورية في الخارج، عندها قلت له: حسنوا صورة سورية لدينا هنا في سورية وستتحسن تلقائياً في الخارج، وأظن أن الدكتور العريضي يذكر بأنه وافقني حينها، وبذل لي كمية لابأس بها من الوعود الاصلاحية، التي لم أحصل منها إلاّ على تهديدات وصلتني من عدة جهات أمنية، كان آخرها استدعائي في 13 شباط/فبراير الماضي إلى مبنى المخابرات العامة بدمشق، ليقوم مدير المخابرات السورية اللواء علي مملوك بالتحقيق معي في مقالتين نشرتهما في «القدس العربي» قبل ثمانية أشهرهما (مؤتمرات صحافية لاخفاء المعلومة لا لاعلانها: السحب الكبير ليانصيب مؤتمر البعث) و (اعترافات مشاهد سوري في ظل حكم التلفزيون الواحد)، وإهانتي وتهديدي ومنعي من كتابة أي مقال حتى لو عن المازوت (كما قال لي بالحرف) أو إجراء أيّ لقاء مالم أحصل على موافقة العميد الذي قادني إلى مكتبه، وإلاّ كان مصيري السجن، وبعدها تركني للعميد/الرقيب الذي أخذ دور الملاك الحارس، وقام مشكوراً بتوضيح الفارق لي بين النقد الهدام والنقد البناء، ثم نصحني بأن لا أكتب بطريقة المسخرة، وعندما تحدثت معه عن مفهوم الكتابة الساخرة، وعن كتاب محمد الماغوط المعنون (سأخون وطني) سألني: بالله عليك كيف يكون وطنياً من يكتب كتاباً بهذا العنوان!!

لم يحدث في تاريخ سورية أن طلب من كاتب أو صحافي أن يستشير المخابرات مباشرة فيما يكتبه، ولذلك تم إنشاء أقنعة مدنية مثل وزارة الاعلام واتحاد الكتاب العرب واتحاد الصحافيين ورؤساء ومدراء وأمناء تحريرالصحف لتنوب عن المخابرات في الرقابة على الفكر والكتابة في سورية، ولكن الاصلاح الذي طالما بشر به الدكتور العريضي هو الذي دفع المخابرات لتنزع أقنعتها المدنية، وتتدخل بوجهها القبيح، وخشيتي من تحقق إجراءات إصلاحية أشد مما واجهته من الاصلاح المأمول الذي بشر به الدكتور العريضي جعلني أخير نفسي بين وطن تقرر فيه المخابرات ماهو المسموح وماهو الممنوع علي كتابته، وبين أرض الله الواسعة التي لاتفرض رقابة محاكم التفتيش على كتابتي، واخترت مكرهاً أرضاً لايأخذ فيها اللواء علي مملوك وعميده دور الملاكين اللذين يجلسان على كتفي ليسجلا الحسنات والسيئات!!

فعن أي اصلاح يتحدث الدكتور العريضي الذي تنقل خلال إدارته للمركز الاعلامي السوري في لندن بين موقع شاهد الزور ومحامي الشيطان، ولم يختلف أداؤه الاعلامي بين سورية وخارجها إلاّ بارتفاع درجة صوته خلال مرحلته اللندنية، والتي أرجعها لأحد سببين، فإما أن ارتفاع صوته تناسب طرداً مع ارتفاع أجره الشهري، أو أن صوته قد ارتفع بعد خروجه من سورية، حيث لاصوت يعلو فوق صوت المعركة.. وأي معركة لنظام ضد مواطنيه!!

* كاتب من سورية
hakambaba@hotmail.com

وارضيات